على أكثر علمائنا الفصل بين هذا النوع من الجبر وبين الجبر الذي يعترض به على أصل التكليف والفرق مثل الصبح ظاهر فمدار التكليف على ما يعلمه الانسان من نفسه علما ضروريا من أنه متمكن من فعل هذه التكاليف وتركها وهذا التمكن يسمى اختيارا ويسميه الاشاعرة كسبا ولا ينفيه كون الانسان لا يعمل عملاً الا بعد العلم بأن فعله خير له من تركه وكون هذا العلم منه الضروري وغير الضروري وان ما كان منه غير ضروري في مبدإه يصير ضروريا بعد الجزم به كما هو ظاهر أو كون هذا العمل فعلا منعكسا بسرعة أو ببطء . وربما عدنا الى الاسهاب في ذلك يوما

هذا هو اعتقاد أهل الحق في هذه المسألة وما قبلها وأظن أن الدكتور محمد توفيق افندي صدقي لا يخالفه وان أوهمت عبارته الخلاف لعدم وضوحها

التدوين في الاسلام (*)

سادتي الكرام

حقا أني حري بالفخر الحقيق بتقديم واجب الشكر على ان تنازلتم بقبولي هذه المرة خطيبا في ناديكم الجامع لنوابغ الامة ونخبة أهل الفضل والعلم منها واني أعترف بأن موقفي بينكم موقف صعب لا يجرأ على الوقوف فيه ضعيف مثلي ليس في مرتبتكم السامية في العلم والاطلاع فالتمس منكم لهذا السبب المعذرة اذا تلعثم لساني واضطرب جناني والكريم يعذر على كل حال

ولقد اخترت موضوعا لبحثي هذه المرة أظنه لا يخلو من فائدة تاريخية مع ما أعتقد في نفسي من العجز عن اعطاء مثل هذا الموضوع أو البحث حقه من البيان والتدقيق لكن قاعدة « ما لا يدرك كله لا يترك كله » ربما سمحت لي بعرض معلوماتي في هذا الشأن على مسامع سادتي المحاضرين مهما كانت قيمتها هينة في نظركم ونظر التاريخ

للموضوع — هو التدوين في الاسلام أو مبدأ الكتابة وتقييد العلم في الصحف عند المسلمين

(*) خطبة ألقاها رفيق بك العظم في نادي المدارس العليا بالقاهرة

ان الذي دعاني الى اختيار هذا البحث على بعده عن أذهان كثير منا لهذا العهد هو تصدي بعض الباحثين لتطريق الوهن والتجريح الى العلوم التي وصلت الينا من أسلافنا في الصدر الاول كالحديث وآداب اللغة العربية والتاريخ

فقد زعموا ان المسلمين لم يدونوا هذه العلوم الا في القرنين الثاني والثالث وان الاخبار التي تتعلق بالرواية مدة قرنين ثم تكتب بعد ذلك الامد الطويل قلما يوثق بسلامتها من التحريف والتبديل وذلك قياس لاخبار العرب على غيرها من أخبار الامم الاخرى التي لم تكتب صحيحة في حينها وانما كتبت بعد مرور زمن طويل أو قصير عليها مشوهة بآفة التبديل والتحريف فسقط اعتبارها على ظنهم في التاريخ

وهذا الزعم بالنسبة الينا مردود من وجهين:

الوجه الاول: ما عرف عن العرب من اتقان الحفظ والرواية وكونهم مطبوعين على ذلك

الوجه الثاني ثبوت التدوين وكتابة الاخبار في الاسلام من أوائل القرن الاول أي من عهد صاحب الرسالة وأبي بكر الصديق وثبوت عناية العرب المسلمين بالكتب أو العلوم المدونة منذ ذلك القرن

أما الوجه الاول فبيانه ان قوى الانسان ومشاعره خاضعة كلها لحكم الفطرة اذ المشاهد ان الانسان اذا فقد اداة من قواه العاقلة أو مشاعره قويت فيه اداة أخرى . فضعيف الذاكرة يكون قوي التفكر بحكم الحاجة الى استحضار صور المعلومات التي تغيب عن حفظه . وفاقد البصر يكون قوي السمع والحفظ كذلك

والعرب لما كانوا أمة أمية قليلي العناية بالكتابة التي هي أداة من أدوات الحضارة استعاضوا عنها لاستبقاء أخبارهم وتداولها بقوة الحفظ فمرنوا على هذه القوة حتى صارت لكثير منهم ملكة لا يحتاج صاحبها الى تكلف عناء في حفظ ما يرد على سمعه من الاخبار والاشعار فقامت عندهم مقام الكتابة وقيد الاخبار بالصحف لذلك كانت أخبار العرب وأشعارهم التي وصلت الينا الى هذا اليوم انما اتصلت بالمسلمين بالرواية ثم قيدها هؤلاء بالكتب في العصر الاول وما بعده

وكلكم تعلمون أيها السادة مبلغ قوة الحفظ عند العرب بما تقرأونه من أخبار

حماد الراوية الذي كان ينشد عدة قصائد على قافية واحدة لعدة شعراء وكذا تقرأون أخبار غيره التي من هذا القبيل وقد كان عبد الله بن عباس يحفظ القصيدة الطويلة بسماعها مرة واحدة وها أنا ذا أورد لكم خبرًا من أخباره في الحفظ يستدعي اعجابكم بذلك الرجل الجليل الذي كان يستوعب ذهنه من شرائع الاسلام وأخبار العرب وغيرهم ما لا تستوعبه مكتبة من المكتبات الضخام

روى هذا الخبر صاحب الاغاني بسنده قال بينا ابن عباس في المسجد الحرام وعنده نافع بن الازرق وناس من الخوارج يسألونه إذ أقبل عمر بن أبي ربيعة في نفر مصبوغين موردين أو ممصرين حتى دخل وجلس فأنشده ابن عباس فأنشده قصيدة

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر غداة غد أم رائح فمهجر

حتى أتى على آخرها . فأقبل عليه نافع ابن الازرق فقال الله يا ابن عباس إنا نضرب اليك أكباد الابل من أقصى البلاد نسألك عن الحلال والحرام فتقابل ويأتيك متوف من متوفي قريش فينشدك

رأت رجلا اما اذا الشمس عارضت فيخزى واما بالعشي فيخسر

فقال له ابن عباس ما هكذا قال وانما قال

رأت رجلا اما اذا الشمس عارضت فيضحي واما بالعشي فيخصر

فقال ما أراك الا قد كنت قد حفظت البيت . قال أجل وان شئت أنشدك القصيدة كلها : قال فاني أشاء فأنشده القصيدة حتى أتى على آخرها

فانظروا الى هذا الذكاء العظيم الذي اختص به أولئك القوم حتى لقد بلغ من ثقتهم بقوة الحفظ والرواية ان كانوا لا يثقون بخبر مكتوب الا اذا كان معززا بالسند والرواية . ولما أخذ العلماء بتدوين الاخبار النبوية وأخبار الصحابة ثم تاريخ الخلفاء دونوا هذه الاخبار مدعومة بالرواية ولم يكتفوا بتقييدها في الصحف عرضة عن الاسانيد خوف دخول التحريف عليها واطمئنانا للرواية المعروفة السند المستوفية لشروط الصحة على الترتيب المعروف عند المحدثين الى الآن

وفي اعتقادي أن الذي ذهب بالباحثين الى الظن بعدم تدوين الاخبار الا

بعد القرن الثاني هو قيد المؤلفين في ذلك العصر بنقل الاخبار بالرواية مع فقد مادون قبل ذلك لفقده لحسن التنسيق والجمع وشروط الصحة عند المؤلفين لا سيما من جهة الترتيب والتخصيص الذي يروق أهل العصر الثاني ويناسب حالة الرقي في الحضارة كما سنتكلم عليه بعد

هذا بيان الوجه الأول وأما الوجه الثاني وهو ثبوت التدوين وكتابة الاخبار في الاسلام في أوائل القرن الأول فالادلة عليه كثيرة ونشتها في ثنايا الكتب وتفاريق السطور لا بمنعنا أن نجتزئ منها بالقليل المقنع الذي وسعناجمعه . ولأقدم بين يدي ذلك مقدمة قصيرة فأقول

اذا قيل ان العرب أمة أمية فليس هذا القول على اطلاقه بل ربما أطلق هذا الوصف على عرب البادية اطلاقا أعم من اطلاقه على غيرهم من سكان المدن وأرباب الدول البائدة كسكان اليمن ومدن نجد والحجاز والعراق والجزيرة وأطراف الشام الذين عرفت لهم دول ذات حضارة وعهد كالتبابعة في اليمن والمناذرة في العراق والحوارث في أطراف الشام الذين منهم ملوك تدمر في شرقي سوريا الذين تنسب اليهم الزباء « زنوبيا » وزوجها أذينة (أوذينوس) ومنهم ملوك غسان في جنوب سوريا وتاريخهم مشهور معروف

فهؤلاء الشعوب لا يجوز أن يطلق عليهم وصف الأمية بالنسبة لحالة كل عصر كانوا فيه وانما غموض تاريخهم وطموس آثارهم أضاف تاريخهم الى التاريخ القديم فكان مجهول الحقيقة الا قليلا مما وقف عليه الباحثون من الآثار الكتابية لحميريين في اليمن والكتابات النبطية في شمال الحجاز وسيكشف دجوبهم على البحث وتتبع الآثار أكثر من ذلك

وحسبكم شاهدا على أن الامية لا يجوز اطلاقها على كل العرب ما كان موجودا من كتب أهل الحيرة الى أوائل القرن الثالث الهجري بدليل ما قاله هشام بن محمد ابن السائب الكلبي في كتاب الانساب وهو اني كنت استخرج أخبار العرب وأنسابهم وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أعمار من ولي منهم لآل كسرى وتاريخ نسبهم من كتبهم بالحيرة

أما عرب الحجاز فالمعروف عن الكتابة عند سكان المدن منهم قبيل البعثة انها كانت موجودة ولو مع الندرة يدلك عليه كتابة المعلقات السبع التي كانت على الكعبة والصحيفة التي تعاقدت فيها قريش على رد الحقوق وانصاف المظلوم وعلقوها على الكعبة والمعروف أنهم كانوا يكتبون العربية تارة بالخط النبطي وتارة بالخط الحيري الذي عرف بعد ذلك بالكوفي وتارة بالخط الحيري الذي عرف بعد ذلك بالكوفي وتارة بالخط الحيري ومن عرف منهم بكتابة هذا الخط ورقة بن نوفل بن عم خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم.

ولما جاء الاسلام كان النبي عليه السلام يحض على تعلم الكتابة وتعلم اللغات الأخرى فشاعت الكتابة بين الصحابة وأبناء الصحابة وبها ضبط الوحي وحفظ القرآن فكانت كلما نزلت آية كتبها الكاتبون في المثال ومن هؤلاء الكتاب عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ومعاوية بن أبي سفيان وخالد بن سعيد بن العاص وأبان بن سعيد والعلاء الحضرمي وحنظلة ابن الربيع وعبد الله بن سعد بن أبي سرح وعبد الله بن الأرقم الزهري وهؤلاء كتاب الوحي والرسائل كتبوا للنبي عليه السلام وأما من عداهم من كتاب الصحابة فكثيرون منهم عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وغيرهم. ومن أبناء الصحابة عبد الله ابن الزبير وعبد الله بن عمرو بن العاص (هو صحابي) وعبد الله بن الحارث بن هشام وغيرهم

اذاً علم مما تقدم أن الكتابة كانت شائعة على عهد النبي عليه السلام بين المهاجرين والانصار وان أول ما كتب بها هو القرآن الكريم وكانوا يكتبونه على الرقاع والاضلاع وسعف النخل والحجارة الرقاق البيض ثم جمعه أبو بكر رضي الله عنه ودونه في الصحف على ما هو معروف مشهور

أما الحديث وفيه تاريخ الصدر الأول وهو الذي عليه مدار بحثنا الآن فانه كان يكتب كذلك على عهد النبي عليه السلام على نحو ما كانوا يكتبون عليه القرآن وقد رخص لهم النبي بكتابته كما أمرهم بكتابة العلم مطلقاً

فقد أخرج ابن عبد البر في جامع بيان العلم بسنده عن أنس بن مالك قال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قيدوا العلم بالكتاب » وروى بسنده عن عمرو

ابن شعيب عن أبيه عن جده قال : قلت يارسول الله أكتب كل ما أسمع منك؟ قال نعم . قلت في الرضى والغضب ؟ قال نعم « فاني لا أقول في ذلك كله الا حقا »

وروى بسنده عن أبي هريرة قال لما فتحت مكة قام رسول الله فخطب فقام رجل من اليمن يقال له أبو شاة فقال يارسول الله أكتبوا لي . فقال رسول الله « اكتبوا لأبي شاة » يعني الخطبة — وروى ابن عبد البر أن رسول الله كتب كتاب الصدقات والديات والفرائض والسنن لعمرو بن حزم وغيره . وأخرج عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول لم يكن أحد من أصحاب محمد أكثر مني حديثا الا عبد الله بن عمرو بن العاص فانه كتب ولم أكتب . وروي عن عبد الله بن عمرو قال : كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله أريد حفظه فنهتني قريش وقالوا انك تكتب كل شيء تسمعه ورسول الله يتكلم في الرضى والغضب ؟ فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله فأومأ باصبعه الى فيه وقال « اكتب فوالذي نفسي بيده مايخرج منه الا حق »

وأخرج الذهبي في تذكرة الحفاظ أن أبا بكر كتب اكثر من اربعمائة حديث . وفي تنوير الحوالك على موطأ مالك وغيره من كتب الحديث أن عمر حاول مرارا أن يكتب السنن ثم عدل خوفا من انكباب الناس على كتب السنن مع وجود كتاب الله

وأخرج ابن عبد البر عن سعيد بن جبير أنه كان يكون مع ابن عباس فيسمع منه الحديث فيكتبه في واسطة الرحل فاذا نزل نسخه . وأخرج عن معن قال أخرج الي عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود كتابا وحلف أنه بخط أبيه بيده

هذه الاخبار الصحيحة وما ماثلها تدلنا على أن الحديث كتب ان لم يكن كله فجله على عهد الرسول وأصحابه الكرام والحديث يشتمل أكثر تاريخ الخلفاء كما تعلمون . وكتب فن النحو التي أملاه علي بن أبي طالب على أبي الاسود الدؤلي . وكتب عبد الله بن عمرو بن العاص كتابا في الاحداث وكتابا فيما قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعها منه شفي بن ماتع الأصبحي فقد قال

المقريزي من رواية أبي سعيد بن يونس صاحب تاريخ مصر عن حياة بن شريح قال : دخلت على الحسين بن شفي بن ماتع وهو يقول فعل الله بفلان فقلت ماله فقال عمد الى كتابين كان شفي (يعني أباه) سمعهما من عبد الله بن عمرو بن العاص ثم ذكر الكتابين قال فأخذهما فرمى بهما بين الحولة والرباب مركبين كبيرين من سفن الجسر مما يلي الفسطاط

وأما في عصر التابعين وتابعيهم فقد كانت العناية بكتابة الاخبار أكثر وأقبل الناس على اقتناء الكتب وجمع المكتبات ومن ذلك ماروا ه ابن عبد البر من هشام بن عروة عن أبيه أنه احترقت كتبه يوم الحرة وكان يقول : وددت لو أن عندي كتبي بأهلي ومالي. وكانت وقعة الحرة في سنة ثلاث وستين في خلافة يزيد بن معاوية وكان ابن شهاب الزهري من علماء المائة الاولى ومولده في سنة احدى وخمسين ووفاته بعد المائة اذا جلس في بيته وضع الكتب حوله فشغله عن كل شيء كما ذكر ذلك ابن خلكان والزهري. هذا هو الذي كتب السنة في دفاتر أو كتب وزعت على الامصار بأمر عمر بن عبد العزيز

ولم يأت القرن الثاني من الهجرة حتى كثرت الكتب في فنون شتى خصوصا فنون العربية والادب فكان منها مكتبات لبعض الافراد ما أظنها توجد عند أحد منا الآن فقد ذكر ابن خلكان وغيره في ترجمة أبي عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة المولود بين سنة خمس وستين وسبعين للهجرة والمتوفى في منتصف القرن الثاني أنه كان أعلم الناس بالقرآن والادب والعربية والشعر وكانت كتبه التي كتبت عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتا له الى قريب من السقف ثم إنه تنسك فأخرجها كلها فلما رجع الى علمه لم يكن عنده الا ما حفظه بقلبه

هؤلاء الاشخاص أيها السادة هم الذين ظفرت بأسمائهم وكانوا ممن اقتنوا الكتب من منتصف القرن الاول الى منتصف القرن الثاني فما بالكم بما لم أظفر بهم وبمن لم يأت ذكرهم في التاريخ ؟ لاجرم أنهم كثيرون جدا وربما لم يخل منهم مصر من الامصار الاسلامية في ذلك العصر

ما هي هذه الكتب وما هي كتب عروة التي احترقت سنة ثلاث وستين ؟

أليست في علوم شتى من العلوم التي دونها العرب واشتغلوا بها ؟ وهل احترقت كتب عبرة في اليوم الذي دونت فيه ؟ كلا بل كتبت هي وغيرها من الكتب في غضون القرن الاول أو على مدى هذا القرن . فاذا كان ذلك كذلك فهل يبقى مجال للريب في ان العرب دونوا علومهم في الصحف من ابتداء القرن الاول ؟ وهل يسترابُ في صحة هذه العلوم مع ماثبت معنا من أنها كتبت مدعومة بالرواية لتكون أبعد من سهو الكاتبين وتحريف الناسخين

لا جرم أن القوم الذين يوجد فيهم من ينصرف عن الملك الى علوم الطب والكيمياء التي ندر من (كان) يشتغل بها من الامم الراقية في ذلك العصر ويؤلف في هذين العلمين حريون بتدوين اخبارهم والعناية بآدابهم . فقد ذكر المؤرخون في ترجمة خالد بن يزيد بن معاوية المتوفي في سنة خمس وثمانين للهجرة أنه كان من أعلم قريش بفنون العلم وله كلام في صنعة الكيمياء والطب وكان بصيرا بهذين العلمين متقنا لها وله مسائل دالة على معرفته وبراعته وأخذ الصنعة عن رجل من الرهبان يقال له مريانس وله فيها ثلاث رسائل تضمنت احداهن ما جرى له مع مريانس المذكور وصورة تعلمه منه والرموز التي أشار اليها وله فيها أشعار كثيرة مطولات ومقاطيع دالة على حسن تصرفه وسعة علمه . وكانوا يعيبونه على اشتغاله بهذه العلوم وتركه سبل الملك والخلافة على الغارب حتى تمكن من سلبه منهم بنو مروان

ومن المؤلفين في ذلك العصر أي العصر الاول غير خالد بن يزيد زيادة بن صبية التي ألحقه معاوية في اولاد أبي سفيان فجعل الناس يطعنون عليه فألف كتابا في علم الانساب في مثالب العرب وطعن فيه في انسابهم فكفوا عنه كما ذكر ذلك ابن النديم

ومنهم زائدة بن قدامة الثقفي أبو الصلت الكوفي قال ابن النديم مات سنة احدى وستين أو ستين وله من الكتب كتاب السنن وكتاب القراآت وكتاب الزهد وكتاب المناقب

ومنهم عبيد بن شرية الجرهمي وكان في زمن معاوية وأدرك النبي ووفد على معاوية من اليمن فسأله عن الاخبار المتقدمة وملوك العرب والعجم وغير ذلك من

المسائل فأجابه عما سأل ولم من الكتب كتاب الامثال وكتاب الملوك وأخبار الماضين

ومنهم سليم بن قيس الهلالي أحد أصحاب علي بن أبي طالب وله كتاب في الحديث ويوجد هذا الكتاب الى الآن في مكتبة السيد ناصر حسين الموسوي امام الشيعة في مدينة لكناؤ في الهند كما ذكر ذلك صاحب مجلة البيان الهندية في العدد السادس من سنته الرابعة وذكر غير ذلك عدة كتب لاصحاب علي موجودة عن الشيعة الامامية يضيق المقام عن ذكرها

وأظن أن في هذا كله بيانا كافيا يقنع القاصرين الى ان المسلمين لم يدونوا الحديث والعلوم الا في القرن الثاني للهجرة أو بعده وان رواية الاخبار والآثار التي التزمها المسلمون في كتبهم المكتوبة بعد القرن الثاني انما كانت شرطا في صحة الاخبار التي نقلوها عمن كتب قبلهم لوثوقهم برواية الرواة الكثيرين أكثر من وثوقهم بخبر لكاتب الواحد

اذ الخبر الذي يكتب في صحيفة ثم يترك لأيدي النساخ والمحرفين والدساسين ليس في الصحة بمنزلة الخبر الذي يكتب ثم يتناقله الرواة قراءة ورواية بحيث يأخذه الواحد عن الآخر كما كتب بحرفه أو معناه الى ماشاء الله

وأظنكم ايها السادة تسلمون معي ان هذه الطريقة في النقل لاتعد ثلمة في تاريخ الاسلام يتطرق منها اليه الوهن والتجريح بل تعد تحقيقا للاخبار بالتأكيد الامانة والتمحيص لم تسبق اليه أمة من الامم غير المسلمين

بقي هنا اعتراض ربما يرد على ماتقدم من الكلام وهو قولهم: أين هي تلك الكتب التي دونت في القرن الاول الى منتصف القرن الثاني مع انه لم يصل الينا منها الا ماذكرت من الكتب الموجودة عند الامامية وهي في الحديث وفيما روي عن علي من بعض الخطب والاخبار وان أقدم ماوصل الينا في التاريخ كتاب فتوح الشام لابي اسماعيل الازدي البصري من علماء النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة . وأين هي كتب الزهري التي جمع فيها الحديث ووزعها عمر بن عبد العزيز على الامصار

فالجواب على هذا سهل وهو أن المسلمين كانوا يتلقون كتب الاخبار قراءة

ورواية كما تقدم بيانه فلما استبحر العمران ونرقت وسائل الحضارة واقتضى أن يترقى فن التأليف تنسيقا وترتيبا وكتبت في ذلك الكتب الجامعة لاصول كل فن أو فروعه أدمجت تلك الروايات أو الصحف المشتملة على مسائل متفرقة في تلك الكتب الجامعة مع محافظة المؤلفين على اسانيدها وفاء بحق الامانة وتصحيحا للاخبار كما ترون ذلك في كل كتب الفنون التي اشتغل بها العرب ودونت بعد القرن الثاني مدعومة بالرواية على طريقتهم السابقة البيان كالتاريخ والحديث وآداب اللغة العربية ولما انتفت الحاجة الى تلك الكتب القديمة قضت على اعيانها سنة بقاء الانسب بالدثور بضرورة الحال واما ما كتب فيها فهو هو بعينه ما كتب في الكتب الجامعة بعد ذلك العصر فاذا دثرت تلك الصحف التي خطتها أنامل العرب في العصر الاول فان ما كان فيها لم يزل باقيا يشهد بصحة تاريخ الاسلام والسلام اه

(المنار) نشرنا هذه الخطبة النفيسة بنصها لفائدتها واجابة لاقتراح من اقترح علينا نشرها مع كتابة شيء في الموضوع استدراكا أو انتقادا . وقد اقترح علينا من قبل غير واحد بأن نكتب شيئا في مسألة كتابة الحديث منهم الدكتور صدقي ومنهم الشيخ صالح اليافعي في حيدرابادفانه أرسل الينا رسالة مطولة في الرد على ما كتبه الدكتور صدقي في السنة الماضية بعنوان (الاسلام هو القرآن وحده) ولكن سقط منها ورقات طلبناها منه فأجابنا بأنه لا يوجد عنده أصل لما فقد واقترح علينا ان نكتب في الموضوع

أما الانتقاد على خطبة رفيق بك فلا أرى فيها شيئا يهم انتقاده الا قوله بصحة الاخبار التي نقلوها في تدوين الصحابة للحديث وستعلم ما فيه وأما الاستدراك فبابه الواسع حتى يمكن وضع مؤلف خاص في هذا الموضوع من فصوله كون تعلم الكتابة لاخراج العرب من حجر الأمية الغالبة عليهم الى مجموعة العلم من مقاصد الاسلام ، وبعثة النبي عليه الصلاة والسلام ، كما قال تعالى (٦٢ : ٢ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) الآية فالكتابة مصدر كتب (كالكتابة) ولكنه في الصدر الأول أكثر ما يصادر

« كتب » استعمالا كثيرا في المأثور وهذا التفسير هو المختار الذي جرينا عليه ورجحه في التفسير عن الاستاذ الامام . ويدخل في ذلك ما ورد في تعليم الكتابة في الاخبار النبوية وآثار الصحابة وذلك كثير

ومن فصوله مسألة كون أهل البدو أحسن حفظا من أهل الحضر لاسيما العرب منهم وقد انتقد اليونانيون وأنكروا تعلم الكتابة لاول عهدها بحجة ان الناس يتكلون على ما يكتب فيضعف حفظهم وذكرهم . ومنها بحث الاحتجاج بالكتب وشرط الوثوق بها عند المحدثين ولابن الصلاح في ذلك كلام حسن

وقد كتب السيد عبد الحميد افندي الزهراوي مقالة موضوعها الكتابة والتدوين والحفظ عند العرب نشرها في الجريدة (عدد ١٢٥ الصادر في ٢٤ جمادى ٢) بين فيها ان من يختبر عرب البادية اليوم وما هم من قوة الحفظ وكثرة المحفوظ لقصائدهم ووقائعهم وخطبهم وأنسابهم لا يعجب مما نقل في حفظ سلفهم . وذكر من كتابتهم في الجاهلية المعلقات وقصص أبطال الفرس كرستم واستشهد على كتابتهم المعاهدات والمحالفات بقول الحارث بن حلزة اليشكري في معلقته :

واذكروا حلف ذي المجاز وما قدـ ـم فيه العهود والكفلاء
حذر الجور والتعدي وهل ينـ ـقض ما في المهارق الاهواء

فالمهارق جمع مهرق وهي الصحائف وقيل المهرق ثوب حرير أبيض يسقى الصمغ ويصقل ثم يكتب فيه . وذكر أيضا منها قول هشام بن الكلبي كنت استخرج أخبار العرب وأنسابهم وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أعمار من ولي منهم لآل كسرى وتاريخ نسبهم من كتبهم بالحيرة

وذكر من شواهد تدوينهم بعد الاسلام مسألة أمر عمر بن عبد العزيز بكتابة السنن نقلا عن ابن عبد البر وما جاء في اعلام الموقعين عن سفيان بن عيينة عن ادريس بن ادريس قال أتيت سعيد بن أبي بردة فسألته عن رسل عمر بن الخطاب التي كان يكتب بها الى أبي موسى الاشعري وكان أبو موسى قد أوصى الى ابن أبي بردة فأخرج اليه كتبا منها : قال كتب عمر الى أبي موسى الاشعري « أما بعد فان

القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة » الخ

أقول لعل أول من كتب الحديث وغيره من التابعين في القرن الأول وجمل ما كتبه مصنفا مجموعا خالد بن معدان الحمصي روي عنه انه لقي ٧٠ صحابيا قال في تذكرة الحفاظ وقال بحير : ما رأيت أحداً ألزم للعلم منه وكان عنده في مصحف له أزرار وعرى : والمراد بالمصحف الصحف المكتوبة المجموعة ولا يوجد في العربية لفظ كهذا يدل على هذا المعنى بالنص فان لفظ « الكتاب » المستعمل للدلالة على الصحف المجموعة في نحو جلد يطلق على الورقة أو الصحيفة الواحدة ولذلك اتفقوا على تسمية القرآن المكتوب عند جمعه بالمصحف وكان قبل ذلك يسمى كتابا ولا يسمى مصحفا فخالد بن معدان جمع علمه في مصنف واحد جعل له وقاية لها أزرار وعرى تمسكها لئلا يقع شيء من تلك الصحف وكان ذلك في القرن الأول طبعا فانه مات سنة ثلاث ومئة أو أربع ومئة

ولكن المشهور ان أول من كتب الحديث مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري القرشي ولعل سبب ذلك أخذ امراء بني أمية عنه :

قال أبو الزناد : كنا نطوف مع الزهري على العلماء ومعه الألواح والصحف يكتب كل ما سمع : يعني من الحديث وغيره فقد روى أبو صالح عن الليث قال ما رأيت عالما قط أجمع من الزهري يحدث في الترغيب فنقول لا يحسن الا هذا وان حدث عن العرب والانساب قلت لا يحسن الا هذا وان حدث عن القرآن والسنة فكذلك : وقال عبد الرزاق سمعت معمراً يقول كنا نرى انا قد أكثرنا عن الزهري حتى قتل الوليد بن يزيد فاذا الدفاتر قد حملت على الدواب من خزائنه يقول من علم الزهري . اه من تذكرة الحفاظ

وجاء في ترجمته فيها ان هشام بن عبد الملك سأل الزهري ان يملي على بعض ولده شيئاً فأملى عليه أربع مئة حديث . . . ثم لقي هشاماً بعد شهر او نحوه فقال الزهري ان ذلك الكتاب ضاع فدعا بكتاب فأملاها عليه ثم قابل بالكتاب الأول فما غادر حرفاً واحداً . (قال) ومن حفظ الزهري أنه حفظ القرآن في ثمانين ليلة . وفي هذا دليل على ان كتابة الحديث كانت شائعة في عصره أي

أواخر القرن الأول وأوائل الثاني فقد ولد الزهري سنة خمسين للهجرة وتوفي سنة أربع وعشرين ومئة ولا تنس ما كتبناه آنفاً عن خالد بن معدان

وقال الحافظ في ترجمة عمرو بن دينار انه كان يحدث على المعنى و يقول لا أحرج على من يكتب عني . وهو قد ولد سنة ست وأربعين

ومن أراد تتبع تراجمهم في كتب المحدثين يجد من هذه المسائل شيئاً كثيراً وما رأينا أحداً وفى البحث في تدوين الصحابة والتابعين للحديث حقه مثل الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد البر وانا ننقل ما كتبه في ذلك برمته ثم نستدرك عليه ما رواه غيره او شايعه على ما رواه ثم نبين رأينا فيه . قال في جامع بيان العلم (نقلا عن مختصره)

﴿ باب ذكر كراهية كتاب العلم وتخليده في الصحف ﴾

عن أبي سعيد الخدري(١) رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن فمن كتب عني شيئاً سوى القرآن فليمحه» ودخل زيد بن ثابت على معاوية فسأله عن حديث وأمر انساناً أن يكتبه فقال له زيد إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا أن لا نكتب شيئاً من حديثه فمحاه . وعن عبد الله بن يسار قال: سمعت عليا يخطب يقول: أعزم على كل من عنده كتاب إلا رجع فمحاه فانما هلك الناس حيث تتبعوا أحاديث علمائهم وتركوا كتاب ربهم . وعن أبي نضرة(٢) قال: قلت لأبي سعيد الخدري: ألا نكتب ما نسمع منك قال تريدون أن تجعلوها مصاحف إن نبيكم صلى الله عليه وسلم كان يحدثنا فنحفظ فاحفظوا كما كنا نحفظ . وعن ابن وهب قال سمعت مالكاً يحدث أن عمر بن الخطاب(٣) أراد أن يكتب هذه الأحاديث أو كتبها ثم قال: لا كتاب مع

---

(١) هو سعيد بن مالك الصحابي الجليل ولأبيه صحبة وروى الكثير مات بالمدينة سنة ٦٥ وقيل ٧٤ هـ من التقريب (٢) هو المنذر بن مالك بن قطعة العبدي العوقي مات سنة ١٠٨ هـ من التقريب (٣) أمير المؤمنين والخليفة الثاني ملأ طباق الارض [illegible] وعدله رضي الله عنه استشهد سنة ٢٣ من الهجرة اه من التقريب مع زيادة

كتاب الله . قال مالك لم يكن مع ابن شهاب كتاب إلا كتاب فيه نسب قومه قال ولم يكن القوم يكتبون انما كانوا يحفظون فمن كتب منهم الشيء فانما كان يكتبه ليحفظه فاذا حفظه محاه . وعن عروة أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن فاستفتى أصحاب رسول الله في ذلك فأشاروا عليه أن يكتبها فطفق عمر يستخير الله فيها شهرا ثم أصبح يوما وقد عزم الله له . فقال : اني كنت اريد أن أكتب السنن واني ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبا فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله واني والله لا أشوب (وفي نسخة لا أنسي) كتاب الله بشيء أبدا: وعن ابن عباس أنه قال : إنا لا نكتب العلم ولا نكتبه: وعن الشعبي(١) أن مروان دعا زيد بن ثابت وقوما يكتبون وهو لا يدري فأعلموه فقال أتدرون لعل كل شيء حدثكم به ليس كما حدثكم وعن ابن سيرين(٢) قال انما ضلت بنو اسرائيل بكتب ورثوها عن آبائهم

وعن الأسود بن هلال(٣) قال أتي عبد الله بن مسعود بصحيفة فيها حديث فدعا بماء فمحاها ثم غسلها ثم أمر بها فأحرقت ثم قال أذكر الله رجلا يعلمها عند أحد إلا أعلمني به والله لو أعلم أنها بدير هند لبلغتها بهذا هلك أهل الكتاب قبلكم حتى نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون. وعن الضحاك قال يأتي على الناس زمان يكثر فيه الأحاديث حتى يمق المصحف بفياره لا ينظر فيه. وعن ابن عباس أنه كان ينهى عن كتاب العلم وقال إنما ضل من قبلكم بالكتب

---

(١) هو أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي كوفي تابعي جليل القدر واسع العلم روي أن ابن عمر مر به يوما وهو يحدث بالمغازي فقال شهدت القوم وإنه لأعلم بها مني. وقال الزهري العلماء أربعة ابن المسيب بالمدينة والشعبي بالكوفة والحسن البصري بالبصرة ومكحول بالشام ويقال إنه أدرك خمسمائة صحابي ومات سنة (١٠٤) بجأة ه من ابن خلكان (٢) هو أبو بكر محمد بن سيرين البصري أحد فقهاء البصرة تابعي جليل مات سنة (١١٠) بالبصرة ه من ابن خلكان (٣) الحارثي الكوفي مخضرم ثقة جليل مات سنة (٨٤) اه من التقريب

وعن أيوب قال سمعت سعيد بن جبير(١) قال كنا نختلف في أشياء فكتبها في كتاب ثم أتيت بها ابن عمر أماله عنها خفيا فلو علم بها لكانت الفيصل بيني و بينه

وعن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه قال أصبت أنا وعلقمة صحيفة فانطلق بها الى ابن مسعود فيها وقد زالت الشمس أو كادت تزول فجلسنا بالباب ثم قال للجارية انظري من بالباب فقالت علقمة والاسود فقال إئذني لهما فدخلنا فقال كأنكما قد أطلتما الجلوس قلنا أجل قال فلعلكما أن تستأذنا قالا خشينا أن تكون نائما قال ما أحب أن تفطنا في هذا إن هذه ساعة كنا نتيسها بصلاة الليل فقلنا هذه صحيفة فيها حديث حسن قال هاتها يا جارية هاتي الطست واسكبي فيه ماء فجعل يمحوها بيده ويقول (نحن نقص عليك أحسن القصص) قلنا انظر فيها فان فيها حديثا عجيبا فجعل يمحوها ويقول ان هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها بغيره قال أبو عبيد (أحد رواة هذه القصة) يرى أن هذه الصحيفة أخذت من أهل الكتاب فلذا كره عبد الله رحمه الله النظر فيها

وقال مسروق لعلقمة اكتب لي النظائر قال أما علمت أن الكتاب يكره قال بلى أريد أن أحفظها ثم أحرقها وعن القاسم أنه كان لا يكتب الحديث وعن ابن شبرمة(٢) قال سمعت الشعبي يقول ما كتبت سوادا في بياض قط ولا استعدت حديثا من انسان مرتين . وعن اسحاق بن اسماعيل الطالقاني(٣) قال قلت لجرير يعني ابن عبد الحميد أكان منصور يعني ابن المعتمر يكره كتاب الحديث قال نعم منصور ومغيرة والاعمش كانوا يكرهون كتاب الحديث وعن الوليد بن مسلم قال سمعت الاوزاعي يقول كان هذا العلم شيئا شريفا إذ كان من أفواه الرجال يتلاقونه ويتذاكرونه

---

(١) الأسدي بالولاء أحد أعلام التابعين أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر قتل بين يدي الحجاج سنة ٩٥ للهجرة باسطا ه من ابن خلكان

(٢) هو عبد الله ابن شبرمة بن الطفيل بن حسان الضبي الكوفي القاضي ثقة فقيه مات سنة ١٤٤ اه من التقريب (٣) نزيل بغداد يعرف بالنيم ثقة تكلم في سماعه من جرير وحده مات سنة ٢٢٢ اه من التقريب

فلما صار في الكتب ذهب نوره وصار إلى غير أهله وعن الفضيل بن عمرو (١) قال قلت لابراهيم إني آتيك وقد جمعت المسائل فاذا رأيتك كأنما تختلس مني وأنت تكره الكتاب قال لا عليك فانه قلما طلب انسان علما إلا آتاه الله منه ما يكفيه وقلما كتب رجل كتابا إلا اتكل عليه

(قال أبو عمر) من كره كتاب العلم إنما كرهه لوجهين أحدهما أن لا يتخذ مع القرآن كتاب يضاهى به ولئلا يتكل الكاتب على ما يكتب فلا يحفظ فيقل الحفظ كما قال الخليل (٢)

﴿ ليس يعلم ما حوى القمطر * ما العلم الا ما حواه الصدر ﴾

وأنشدني بعض شيوخي لمحمد بن بشير بإسناد لا أحفظه

﴿ أما لو أعي كل ما أسمع * وأحفظ من ذاك ما أجمع ﴾
﴿ ولم أستفد غير ما قد جمعـــت لقيل هو العالم المقنع ﴾
﴿ ولكن نفسي إلى كل فـــن من العلم تسمعه تنزع ﴾
﴿ فلا أنا أحفظ ما قد جمـــت ولا أنا من جمعه أشبع ﴾
﴿ ومن بك في علمه هكذا * يكن دهره القهقرى يرجع ﴾
﴿ اذا لم تكن حافظا واعيا * فجمعك للكتب لا ينفع ﴾
﴿ أحضر بالجهل في مجلسي * وعلمي في الكتب مستودع ﴾

وقال أبو العتاهية (٣)

---

(١) الفقيمي أبو النضر الكوفي ثقة مات سنة عشر ومائة اه من التقريب (٢) ابن أحمد الأزدي البصري كان إماماً في النحو وهو الذي استنبط علم العروض قال حمزة الاصبهاني في حقه في كتابه الذي سماه التنبيه على حدوث التصحيف . وبعد فان دولة الاسلام لم تخرج أبدع للعلوم التي لم يكن لها عند علماء العرب أصول من الخليل مات سنة ١٧٠ وقيل ١٧٥ اه من ابن خلكان

(٣) هو أبو اسحق اسمعيل بن القاسم العنزي بالولاء الشاعر المشهور المتوفى ببغداد سنة ٢١١ وله ديوان جمعه ابن عبد البر صاحب أصل هذا المختصر اه من ابن خلكان (كذا في هامش الكتاب)

﴿ من مُنِع الحفظ وعى ٭ من ضيع العلم وهم ﴾

وقال أعرابي حرف في تامورك خير من عشر في كتبك (وقال أبو عمر) التامور علقة القلب وسمع يونس بن حبيب رجلا ينشد

﴿ استودع العلم قرطاسا فضيعه ٭ وبئس مستودع العلم القراطيس ﴾

فقال يونس قاتله الله ما أشد صيانته للعلم وصيانته للحفظ ان علمك من روحك وان مالك من بدنك فصن علمك صيانتك روحك وصن مالك صيانتك بدنك

(قال أبو عمر) من ذكرنا قوله في هذا الباب فانما ذهب في ذلك مذهب العرب لانهم كانوا مطبوعين على الحفظ مخصوصين بذلك والذين كرهوا الكتاب كابن عباس والشعبي وابن شهاب والنخعي وقتادة ومن ذهب مذهبهم وجبل جبلتهم كانوا قد طبعوا على الحفظ فكان أحدهم يجزي بالسمعة ألا ترى ما جاء عن ابن شهاب أنه كان يقول اني لأمر بالبقيع فأسد آذاني مخافة أن يدخل فيها شيء من الغنا فوالله ما دخل أذني شيء قط قضيته وجاء عن الشعبي نحوه وهؤلاء كلهم عرب وقال صلى الله عليه وسلم « نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب » وهذا مشهور ان العرب قد خصت بالحفظ كان بعضهم يحفظ أشعار بعض في سمعة واحدة وقد جاء عن ابن عباس انه حفظ قصيدة عمر بن أبي ربيعة ﴿ أمن آل نعم أنت غاد فمبكر ﴾ في سمعة واحدة فيما ذكروا وليس أحد اليوم على هذا ولولا الكتاب لضاع كثير من العلم وقد أرخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتاب العلم ورخص فيه جماعة من العلماء وحدوا ذلك ونحن ذاكروه بعد هذا بعون الله ان شاء الله وقد دخل على ابراهيم النخعي (١) شيء في حفظه لتركه الكتاب وعن منصور قال كان ابراهيم يحذف الحديث فقلت له إن سالم بن الجعد يتم الحديث قال ان سالما كتب وأنا لم أكتب (قال أبو عمر) فهذا النخعي مع كراهته لكتاب الحديث قد أقر بفضل الكتاب

﴿ باب الرخصة في كتاب العلم ﴾

عن أبي هريرة قال لما فتحت مكة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر

---

(١) أحد الأئمة المشهورين تابعي جليل ونسبته الى النخع قبيلة من مذحج باليمن ه من تاريخ ابن خلكان

الخطبة خطبة النبي صلى الله عليه وسلم قال فقام رجل من اليمن يقال له أبو شاة فقال يارسول الله ! اكتبوا لي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اكتبوا لأبي شاة » يعني الخطبة وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قلت يارسول الله أكتب كل ما أسمع منك قال « نعم » قلت في الرضى والغضب قال « نعم فإني لا أقول في ذلك كله الا حقا » وعن همام بن منبه (١) أنه سمع أبا هريرة يقول لم يكن أحد من اصحاب محمد أكثر حديثا مني الا عبد الله بن عمرو فانه كتب ولم أكتب وعن عبد الله بن عمرو قال كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه فنهتني قريش وقالوا أتكتب كل شيء تسمعه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم في الرضا والغضب فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأومى بأصبعه إلى فيه وقال « اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه الا حق » وعن مطرف بن طريف (٢) قال سمعت الشعبي يقول أخبرني أبو جحيفة قال قلت لعلي بن أبي طالب هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء سوى القرآن قال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة الا أن يعطي الله عبدا فهما في كتابه وما في هذه الصحيفة قلت وما في الصحيفة؟ قال: العقل وفكاك الاسير وأن لا يقتل مسلم بكافر: وقد روي عن علي رضي الله عنه في هذه الصحيفة وجوان أحدهما تحريم المدينة ولعن من انتسب الى غير مواليه في حديث فيه طول وفيه « المسلمون تتكافأ دماؤهم » الحديث رواه عن علي يزيد التيمي وحلاس وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الصدقات والديات والفرائض والسنن لعمرو بن حزم وغيره وعن أبي جعفر بن علي قال وجد في قائم سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيفة مكتوب فيها « ملعون من أضل أعمى عن سبيل ملعون من سرق تخوم الارض ملعون من تولى غير مواليه أو قال ملعون من جحد نعمة من أنعم عليه » وعن عبد الله ابن عمرو قال ما يرغبني في الحياة الا خصلتان الصادقة والوهط (٣) فأما الصادقة

---

(١) بن كامل الصنعاني أخو وهب ثقة مات سنة ١٣٢ اه تقريب (٢) ثقة فاضل مات سنة ١٤١ وقيل بعدها اه تقريب التهذيب لابن حجر (٣) لوهط المكان المطمئن من الارض وقيل موضع وقيل قرية بالطائف اه لسان العرب

فصحيفة كتبها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الوهط فأرض تصدق بها عمرو ابن العاص كان يقوم عليها . وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قيدوا العلم بالكتاب» وعن عبد الملك بن سفيان عن عمه أنه سمع عمر بن الخطاب يقول «قيدوا العلم بالكتاب» وعن معن قال أخرج إلي عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود كتابا وحلف لي أنه خط أبيه بيده وعن أبي بكران قال سمعت الضحاك يقول اذا سمعت شيئا فاكتبه ولو في حائط : وعن سعيد بن جبير انه كان يكون مع ابن عباس فيسمع منه الحديث فيكتبه في واسطة الرحل فاذا نزل نسخه وعن أبي قلابة قال الكتاب أحب الينا من النسيان وعن أبي المليح قال يعيبون علينا الكتاب وقد قال الله تعالى (٢٠ : ٥٢ علمها عند ربي في كتاب) وعن عطاء عن عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله أأقيد العلم قال «قيد العلم» قال عطاء قلت وما تقييد العلم؟ قال الكتاب . وعن عبد العزيز بن محمد الداوردي(١) قال أول من دون العلم وكتبه ابن شهاب . وعن عبد الرحمن ابن أبي الزناد عن أبيه قال كنا نكتب الحلال والحرام وكان ابن شهاب يكتب كل ما سمع فلما احتيج اليه علمت أنه أعلم الناس . وعن سوادة ابن حيان قال سمعت معاوية ابن قرة يقول من لم يكتب العلم فلا تعدوه عالما . وعن محمد بن علي قال سمعت خالد ابن خداش البغدادي (٢) قال ودعت مالك بن أنس فقلت يا أبا عبد الله أوصني قال عليك بتقوى الله في السر والعلانية والنصح لكل مسلم وكتابة العلم من عند أهله وعن الحسن أنه كان لا يرى بكتاب العلم بأسا وقد كان أملى التفسير فكتب

وعن الاعمش قال قال الحسن ان كنا كتبنا قعاهدها . وقال الخليل بن أحمد اجعل ما تكتب بيت مال وما في صدرك نفقة . وعن هشام بن عروة عن أبيه أنه احترقت كتبه يوم الحرة(٣) وكان يقول وددت لو أن عندي كتبي بأهلي ومالي . وعن سليمان ابن موسى قال يجلس الى العالم ثلاثة رجل يأخذ كل ما سمع فذلك حاطب ليل

«١» صدوق كان يحدث من كتب غيره مات سنة ١٨٦ هـ تقريب

«٢» أبو الهيثم المهلبي مولاهم البصري صدوق يخطىء مات سنة ٢٢٤ هـ تقريب

«٣» الحرة موضع بظاهر المدينة به كانت واقعة الحرة أيام يزيد هـ قاموس

ورجل لا يكتب (١) ويسمع فذلك يقال له جليس العالم ورجل ينتقي وهو خيرهم وهذا هو العالم. وعن اسحاق بن منصور قال قلت لأحمد بن حنبل من كره كتابة العلم؟ قال كرهه قوم ورخص فيه آخرون قلت له لو لم يكتب العلم فذهب قال نعم لولا كتابة العلم أي شيء كنا. قال اسحاق وسألت اسحاق بن راهويه فقال كما قال أحمد سواء. وعن حاتم الفاخر وكان ثقة قال سمعت سفيان الثوري يقول اني أحب أن أكتب الحديث على ثلاثة أوجه حديث رجل أكتبه أريد أن أتخذه دينا وحديث رجل أكتبه فأوقفه لا أطرحه ولا أدين به وحديث رجل ضعيف أحب أن أعرفه ولا أعيا به. وقال الأوزاعي تعلم مالا يؤخذ به كما تعلم ما يؤخذ به. وعن سعد بن ابراهيم قال أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن فكتبناها دفترا دفترا فبعث الى كل أرض له عليها سلطان دفترا. وعن أبي زرعة قال سمعت أحمد بن حنبل ويحيى ابن معين يقولان كل من لا يكتب العلم لا يؤمن عليه الغلط. وعن الزهري قال كنا نكره كتاب العلم حتى أكرهنا عليه هؤلاء الامراء فرأينا أن لا نمنعه أحدا من المسلمين. وذكر المبرد قال قال الخليل بن أحمد ما سمعت شيئا الا كتبته ولا كتبته الا حفظته ولا حفظته الا نفعني » اه كلام ابن عبد البر

استدراك على ابن عبد البر

في الاذن بكتابة العلم والمنع منها ومن خرج أحاديثه

روى ابن النجار في تاريخه من حديث حذيفة « اكتبوا العلم قبل ذهاب العلماء وانما ذهاب العلم بموت العلماء » والحديث لا يصح وهو عام في كل علم وروى الديلمي من حديث علي « اكتبوا هذا العلم فانكم تنتفعون به إما في

---

(١) المنار: كذا في الأصل والظاهر أن (لا) زائدة ليكون من الشواهد على الكتابة. وحاطب ليل مثل يضرب لمن لا يميز فيما يجمعه أو يأخذه بين غث وسمين ونافع وضار كمن يحتطب ليلا فيأخذ الأفعى والحجر فيما يجمعه يظنها حطبا. والذي ينتقي هو الذي يتحرى ما يسمع فيميز بين الصدق والكذب والمعقول وغير المعقول